التربية الجهادية ودورها في تحقيق الانتصار على الإرهاب

د. حــوراء عباس كرمــاش
جامعة بابل/ كلية التربية الأساسية

The Jihadi Education and Its Role in Defeating Terrorism

PhD. Hawra'a Abbas Kirmash
College of Basic Education/ University of Babylon
h_vip84@yahoo.com

Abstract

Education is associated with humans and it aims at developing the personality and to serve the society in its different fields. Islamic education is concerned with educating the Muslim and preparing him to face life in its different challenges. Accordingly, Islamic education paid great attention to human beings and it focuses on the belief in God, prophet Muhammad (peace be upon him), and his holy house hold(peace be upon Them). Therefore, prophet Muhammad (peace be upon him) paid great attention to educating Muslims, so he was the first educator and his holy house hold(peace be upon them) followed him in this task. Education may take different forms: spiritual education, mental education, politic education, and the Jihadi education. This study is limited to the Jihadi education and its role in defeating terrorism.

مُلخص البحث

ارتبطت التربية بظهور الإنسان على وجه الأرض وإحساسهِ بنفسهِ، وإقامتهِ وتعاملهِ في جو الأُسرة ثم حياة الجماعة. وتهدف التربية إلى تنمية شخصية الفرد تنمية مُتكاملة، وإلى خدمة المُجتمع في مجالاتهِ المُختلفة، وإلى تطوير أعمال الإنسان في الميادين الثقافية المتنوعة. وتهتم التربية الإسلامية بتربية الإنسان المُسلم وإعدادهِ لمواجهة جوانب الحياة المختلفة. وبذلك جعلت الإنسان محور اهتمامها وربتهُ على الأيمان بالله (عز وجل) وبالرسول الأكرم (صل الله عليهِ وعلى آلهِ وسلم) وبأهل بيتهِ الطيبين الطاهرين (عليهم السلام). وبذلك يمثل الإنسان المُهمة الأُولى للتربية الإسلامية وقد اعتنى النبي محمد(صل الله عليه وعلى آله وسلم) بتربية الإنسان المُسلم فكان المُربي الأول، وسار على نهجهِ أهل بيتهِ الطيبين الطاهرين (عليهم السلام). ولأنَّ التربية وسيلة مهمة لبناء الشخصية الإسلامية بناءً صحيحاً، فقد تعددت أشكالها على عدة محاور منها التربية الروحية، والجسدية، والعقلية، والسياسية، والجهادية، وغيرها من أنواع التربية التي تهتم ببناء الفرد المُسلم. وستتناول الباحثة في هذا البحث التربية الجهادية ودورها في الانتصار على الإرهاب. لما لهذهِ التربية من دورٍ فعالٍ في تحقيق الانتصار والتغلب على أعداء الإسلام في بلدنا العراق الغالي. ومن الله التوفيق.

- التربيــة لغةً:

إنّ المعاني والألفاظ بينهما علاقة وثيقة وارتباط عميق، وإنّ الألفاظ المستعملة في كلّ لغة إنّما هي جسر إلى المعاني، وقد وضعت الألفاظ على المعاني بوضع خاصّ في البداية، ويسمّى هذا الوضع الأوّلي بالوضع اللغوي، فكلّ كلمة لا بدّ أن نعرف معناها اللغوي أوّلاً، والمتكفّل لبيان المعاني هو معاجم اللغة، ثمّ ربما ينقل اللفظ من معناه الأوّلي إلى معنىً جديد يصطلحه البعض لنفسه، فيسمّى بالمعنى المصطلح الثانوي، ويختلف باختلاف العلوم والفنون والصناعات والعرف. (أيوب، 2011: 15).

وقبل الورود في المباحث الخاصّة بموضوع التربية الجهادية، لا بدّ لنا أن نعرف معناها لغةً واصطلاحاً.

فالتربية أصلها اللغوي من كلمة(ربّ) (رَبَبَ)، ولها معانٍ عديدةٍ، فتأتي تارةً بمعنى (السياسة) اللغوية، فيقال: ربّ القوم: ساسهم وكان فوقهم، وأُخرى بمعنى (المِلك)، فيقال ربّ الشيء أي ملكه، وتربَّبَ الأرض: ادّعى أنّه ربّها وصاحبها، والربّ مصدر والجمع أرباب وربوب: السيّد المالك، والربّ من أسمائه تعالى فهو ربّ العالمين، والنسبة إليه: ربّي وربّاني ورُبُوبي، والربّان رئيس الملاّحين، والربوبة والربوبية الاسم من الربّ، المربوب العبد والمملوك، والربّاني: العالم الحبر العارف بالله تعالى. ويأتي بمعنى (الاصلاح) فربَّ الأمر أصلحه، وارتبّ الولد: ربّاه حتّى أدرك، فالربّ المصلح، والمربّي، والربيب جمع ربائب: الحاضنة بنت الزوجة، امرأة الرجل إذا كان لها ولد من غيره. (سعيد، 2008: 19-20).

وتأتي بمعنى (الزيادة)، فربّ النعمة: زادها، والربّي النعمة الإحسان والمربّب المنعم عليه، وتأتي بمعنى(الإقامة) فربا بالمكان: أقام، وبمعنى (الدوام) فيقال: أربّت السحابة: أي دام مطرها. وبمعنى (الجمع) فيقال: ربّا الشيء: جمعه وتربّب القوم: اجتمعوا: والرَبَب الماء الكثير، والربّة: الدار الضخمة، وهذا مربّ القوم أي محلّ مجتمعهم، والرّباب: الجماعة. وبمعنى (الطيب والإجادة) (الجودة) فيقال: ربا الدهن: طيّبه وأجاده، والربب: الماء العذب، والرّباب واحدته (ربابة) السحاب الأبيض، والرّبى: الحجة، ومعانٍ أخرى. (العلوي، 1420هـ: 9).

ومن ذلك نجد أنَّ لكلمة التربية أصولاً لغوية ثلاثة:

الأصل الأول: رَبا يربو بمعنى زادَ ونما، فتكون التربية هنا بمعنى النمو والزيادة، كما في قوله تعالى (يَمْحَقُ اللّهُ الْرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ)(سورة البقرة، الآية: 276)، (وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ) (سورة الحج، الآية: 5)، (وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّباً لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ) (سورة الروم، الآية: 39).

الأصل الثاني: رَبى يربي على وزن خفى يخفي، وتكون التربية بمعنى التنشئة والرعاية، كما في قوله تعالى:(قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ) (سورة الشعراء، الآية 18)، (وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً) (سورة الإسراء، الآية 24).

الأصل الثالث: رب يرب بوزن مدّ يمدّ بمعنى أصلحه، وتولى أمره، وساسه وقام عليه ورعاه، كما في قوله تعالى: (وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) (سورة البقرة، الآية: 32)، ...(وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ)(سورة المائدة، الآية: 110)، (وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ) (سورة آل عمران، الآية: 48). (سعيد، 2008: 24).

التربية اصطلاحاً:

تختلف الآراء في تحديد مفهوم التربية باختلاف الظروف التاريخية والحضارية وباختلاف الأماكن كما قد تختلف باختلاف نظرة المتخصصين، وقد وردت تعاريف كثيرة للتربية من قبل فلاسفة وعلماء اجتماع وسياسيين ونفسيين. ولكن لا تخرج تعريفاتهم بأي حال من الأحوال عن المعنى اللغوي للكلمة. وللتربية تعريفات عديدة منها:

1 – التربية: هي العملية التي يمكن من خلالها الوصول بالإنسان جسماً وروحاً لأقصى درجات الكمال، وذلك من خلال الكشف عن القوة الكامنة فيه، والعمل على تنميتها وتوجيهها وترقيتها لأقصى درجات الاستفادة منها.

2 – الطريقة التي يصبح فيها العقل عقلاً آخر والقلب قلباً آخر.

3 – العملية الهادفة إلى إعداد العقل لكسب العلم؛ وذلك باعتبار العقل الإنساني مصدر المعرفة ووسيلتها. وقد ارتبط هذا التعريف بالفلسفة المثالية.

4 – تنمية كل قوى الفرد الظاهرة والكامنة تنمية متلائمة.

5 – التهذيب والتأديب واستبعاد ما قد يوجد في الإنسان من مثالب، وتدعيم ما فيه من مرغوبات.

6 – تعديل السلوك الإنساني.

7 – الأداة التي يستخدمها الإنسان من أجل إحداث التطبيع الاجتماعي؛ بمعنى تشكيل الفرد الإنساني والانتقال به من كونه كائنًا بيولوجيًّا بحتًا إلى مرحلة يكتسب فيها الشخصية الاجتماعية التي تمكنه من الإسهام في بناء مجتمعه والمحافظة على ثقافته.

8 – جملة الخبرات التي يمر بها الإنسان من بداية حياته حتى نهايتها وتؤثر في سلوكه. (أحمد، 1423: 12) (النحلاوي، 1403: 13).

وبذلك تعرف الباحثة التربية بأنها: عملية تنمية وتطوير قدرات ومهارات الأفراد من أجل مواجهة متطلبات الحياة بأوجهها المختلفة. أو هي عملية بناء شخصية الأفراد بناء شاملاً كي يستطيعوا التعامل مع كل ما يحيط بهم، أو التأقلم والتكيف مع البيئة التي يعيشون بها – وتكون التربية للفرد والمجتمع.

– معنى الجهاد لغة واصطلاحاً:

الجهاد لغة: من الْجَهْد أو الْجُهْد، وهو بذل الجهد والطاقة.

وهو: بذل واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل. (إبن الأثير، ب:ت: 319).

أما الجهاد اصطلاحاً "شرعا": فهو بذل الجهد في قتال الكفار والمشركين ومن في حكمهم ممن يضمر الشر للمسلمين. وهذا هو المعنى الخاص للجهاد في الإسلام.

وهو: بذل الجهد من المسلمين في قتال الكفار المعاندين المحاربين، والمرتدين، والبغاة ونحوهم؛ لإعلاء كلمة الله تعالى. (إبن حجر، ب:ت: 22).

– معنى الانتصار لغةً واصطلاحاً:

معنى الانتصار لغةً. اِنتِصار: (اسم) الجمع: انتصارات، مصدر انتصرَ، انتصرَ على، انتصرَ من فوز، وغَلَبة وظَفَر انتصارات الجيش على العدوّ، انتصار سياسيّ. اِنتصار: (اسم)، اِنتصار: مصدر إنتَصَر، اِنتَصَر:(فعل) انتصرَ/ انتصرَ على/ انتصرَ من يَنتصِر، انتصاراً، فهو مُنتصِر، والمفعول مُنتصَرٌ عليه، اِنْتَصَرَ الحَكَمُ لِأَحَدِ الْمُتَخاصِمَيْنِ: أَيَّدَهُ، وَقَفَ بِجانِبِهِ، انتصر على خصمه: غلبَه وقهره واستظهر عليه قائدٌ منتصر، اِنْتَصَرَ الرَّجُلُ: اِمْتَنَعَ مِنْ ظالِمِهِ، اِحْتَمَى، انتصر من عدوِّه: انتقم منه.

أما مفهوم الانتصار اصطلاحاً فيكون بأسقاط أو كسر الجهة المقابلة أثناء فترة المعركة ويحصل النصر وترفع الرايات للمنتصر ومن ثم الهيمنة على ما تملك الجهة المقابلة من حكم وأموال أو أي شيء من هذا القبيل. وسرى هذا المفهوم حتى في زمان الرسول الأكرم (صل الله عليه واله) وفي فترة أمير المؤمنين والحسن عليهم السلام إلى أنْ وصل الأمر إلى خروج الإمام الحسين عليه السلام وثورته المثالية التي غير فيها مفهوم الانتصار من انتصار (السيف على الدم إلى انتصار الدم على السيف) انه انتصاراً خطه الحسين سلام الله عليه بدمه الطاهر ودماء الثلة من أهل بيته سلام الله عليهم أجمعين وتمثل ذلك الانتصار بسقوط أعدائه وثبوت الهدف الذي خرج من أجله، وانه لم يكن انتصارا آنياً وهذا ما أراد أن يؤسس له الإمام الحسين عليه السلام حتى يسير عليه الثوار والمصلحين من بعده لكي يكون لهم نبراساً ومشعلاً ينير دربهم وهذا ما لاحظناه في وقتنا الحاضر حيث إن الذين ساروا على نهج الحسين عليه السلام واتخذوه شعاراً لهم وقدموا انفسهم كمشروع شهادة بانت نتائج حركاتهم الإصلاحية كما بانت نتائج ثورة الحسين لجميع العالم الإسلامي وغيره واستلهموا منها العبر والدروس في شتى المجالات. (الزيدي، 2013: 1–2).

- معنى الإرهاب لغة واصطلاحاً:

الإرهاب لغة:

تعتبر كلمة (الإرهاب) مشتقة من الفعل المزيد (أرهب)، ويقال: (أرهب فلاناً) أي: خوَّفه وفزَّعه، وهو المعنى الذي يدل عليه الفعل المضعف (رهب)، أما الفعل المجرد من المادة نفسها وهو (رهب يرهب رهبةً ورهباً) فيعني: خاف، فيقال: (رهب الشيء رهباً ورهبة أي: خافه، والرهبة: الخوف والفزع). (إبن منظور، 1993: 337).

ومصطلح (الإرهاب) ترجمة حرفية للكلمة الفرنسية (terrorisme)، التي استحدثت أثناء الثورة الفرنسية، وهي ترجمة حرفية أيضاً للكلمة الإنجليزية (terrorisme)، ويعتقد أن الترجمة الصحيحة للمصطلح الأجنبي هي كلمة (إرعاب، وإخافة شديدة)، وليس (إرهاباً). (الهواري، 2007: 19)

الإرهاب اصطلاحاً:

لقد حاول بعض المفكرين تعريف الإرهاب، والأعمال الإرهابية، كما حاولت بعض الاتفاقيات الدولية والإقليمية لتعريف الإرهاب وما يتصل به من أعمال، ومن ضمن التعريفات:

1- الإرهاب هو: (القتل، والاغتيال، والتخريب، والتدمير، ونشر الشائعات، والتهديد، وصنوف الابتزاز، والاعتداء...الخ، وأي نوع يهدف إلى خدمة أغراض سياسية واستراتيجية، أو أي أنشطة أخرى تهدف إلى إشاعة جو من عدم الاستقرار، والضغوط المتنوعة). (الحجيني، 2006: 14).

2- ويعرف رمضان(2000: 24) الإرهاب بأنه: (استخدام أو تهديد باستخدام العنف ضد أفراد، ويعرض للخطر أرواحاً بشرية بريئة، أو تهديد الحريات الأساسية للأفراد لأغراض سياسية بهدف التأثير على موقف أو سلوك مجموعة مستهدفة بغض النظر عن الضحايا المباشرين).

ومن ذلك نستنتج إن الإرهاب هو كل فعل من أفعال العنف أو التهديد أيّاً كانت بواعثه أو أغراضه، يقع تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي أو جماعي، ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الأفراد، أو ترويعهم بإيذائهم، أو تعريض حياتهم أو أمنهم للخطر، أو إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق أو الأملاك العامة أو الخاصة، أو اختلاسها أو الاستيلاء عليها، أو تعريض أحد الموارد الوطنية للخطر.

الفصل الثاني

الجهاد، مفهومه، مراتبهِ وأنواعه

الجهاد في الإسلام مفهوم يُطرح كثيراً في عصرنا الحالي، يحاول الكثير أن يغيروا معناه ليضفوا عليه "الإرهابية"، وهذا بعيد كل البعد عن الدين الإسلامي الحنيف. فقد شرعه الله لغايات سامية، ألا وهي إعلاء كلمة الله تعالى في الأرض وإنشاء صرح إسلامي سليم وإقامة شرع الله في الأرض ومحاربة الكفار والمعتدين. فالجهاد في الإسلام وسيلة لا غاية، فما هو الجهاد؟ وما هي أنواعه ومراتبه؟ وما الحكمة من فرض الجهاد على المسلمين؟ وما هي أحكامه وشروطه؟ وما هي فضائله؟

إنَّ الجهاد بمعناه العام، هو عبارة عن جهد يبذله المؤمنون لإصلاح أوضاع الأمة في مختلف المجالات. لذلك فإن التوجيهات الإسلامية تؤكد أن الجهاد وفق هذا المنظور هو الذي يحول دون فساد الأوضاع ووصول الأشرار والفاسدين إلى السلطة والحكم. فالجهاد حضور وشهود وكفاح، لتأكيد خيار الإصلاح في الأمة. فقد جاء في الحديث الشريف «الله الله في الجهاد بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم في سبيل الله. لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولى عليكم شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم». (الميرزائي، 2002: 120).

ويعد الجهاد في سبيل الله أو القتال احد أركان الدين الحنيف، وهو مصطلح إسلامي، يعني جميع الأفعال أو الأقوال التي تتم لصد عدو أو لتحرير ارض وقد جاء هذا المصطلح في بدء الإسلام، عندما ذكر الله تعالى معركة بدر الكبرى في القرآن ثم تم تعميم هذا المصطلح ليشمل أي فعل أو قول يصب في مصلحة الإسلام لصد عدو ما يستهدف الإسلام والمسلمين. (القحطاني، 2011: 31).

وتتسع دائرة الجهاد بالمفهوم الإسلامي، إذ لم تكن محصورة في القتال فحسب، بل ترتبط بمجالات الحياة كلها، وهكذا حتى عندما يكون هناك قتال مع العدو، فان جهاد كل واحد بحسبه فالطبيب بخبرته الطبية، وأهل الإغاثة بإغاثتهم، وأهل الإعلام بإعلامهم، وأهل الأموال بأموالهم، ويبقى البقية في البلد يقومون بشؤونها ويخلفون المجاهدين في أهلهم بالخير والرعاية والحراسة، لتستمر عجلة الحياة في الدوران. وقد فرض الجهاد في السنة الثانية من الهجرة، ونادى لنشر العدل والمساواة بين البشر في الحقوق والواجبات بين الغني والفقير، الحاكم والمحكوم، القوي والضعيف، الشريف والوضيع، العالم والجاهل، الزاهد والعابد، تحت شعار واضح وحديث (لا فضل لعربي على أعجمي، ولا أعجمي على عربي، ولا لأبيض على أسود، ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى، الناس من آدم وآدم من تراب). (الحميد، 2001: 34-35)

ولما كانت رسالة النبي محمد (ص) للناس كافة قد فرض فيها الجهاد، كان لزاماً تلبية هذه الفريضة المقدسة ومواجهة الطغاة والغزاة وإعداد العُدة لمواجهة كل المخاطر كما أمر الله تعالى بقوله: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم، وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون)، وفي قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين) هذه الآيات وغيرها توجب الخروج للجهاد لقتال الأعداء، إلا أن الجهاد يندرج في عداد فروض الكفاية، أو الجهاد الكفائي، أي اذا ما قام للجهاد بعض المسلمين سقط الوجوب والإثم عن الباقين. (الندوي، ب:ت: 23).

أما اذا لم يقم به احد أي بالجهاد لحق الإثم بجميع القادرين عليه، أي بمعنى ينفر البعض ويبقى البعض، هذا بعينه هو فرض الكفاية أو الكفائي، وقد يتحول الجهاد الكفائي إلى جهاد فرض عين في الحالات الضرورة وكثرة الأعداء وشدة القتال أو رجحان كفة العدو، حينها يصير الجهاد فرضاً عينياً، واستدل بأنه واجب عيني عند مواجهة الاجتياح والصعوبات قوله تعالى: (انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون) وكقوله تعالى (إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شيء قدير). (القحطاني، 2011: 39).

وجاء في الحديث عن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام): «والجهاد فرض على جميع المسلمين لقول الله عز وجل [كتب عليكم القتال]، فإن قامت بالجهاد طائفة من المسلمين وسع سائرهم التخلف عنه، ما لم يحتج الذين يلون الجهاد إلى المدد، فإن احتاجوا لزم الجميع أن يمدوا حتى يكتفوا، قال الله عز وجل [وما كان المؤمنون لينفروا كافة] وإن دهم أمر يحتاج فيه إلى جماعتهم نفروا كلهم». (فضل الله، 1998: 211).

وبذلك يعد الجهاد في الإسلام من الواجبات الكفائية، بمعنى إذا قام به البعض يسقط عن الآخرين. وهذا لا يعني بطبيعة الحال انحصار هذا الواجب فقط في فئة أو شريحة من الناس، بل ينبغي أن يتهيأ ويستعد كل مكلف قادر، بحيث إذا تحققت الحاجة على المستوى البشري سقط هذا الواجب الكفائي عن الجميع. فالواجبات الكفائية تشمل الجميع، ولكنها على المستوى الفعلي مرهونة بالقدر الكافي لرفع الحاجة. (عزام، 2014: 54).

ويشير شمس الدين(1997: 43) إلى مفهوم جديد للواجب الكفائي، بأنَّ الواجبات التي يسمونها كفائية، هي واجبات عينية، لكن ليس المكلف فيها هو شخص واحد، بل الأمة بما هي موجود حضاري ومعنوي، وبما هي مشخصة للشرع الشريف.

والفرد الذي ينصب عليه التكليف، يتوجه إليه الخطاب باعتبار كونه من الأمة لا باعتبار مشخصاته الذاتية. ومع ذلك، فالخطاب يتوجه إليه كما لو كان شخصاً طبيعياً مشروطاً بالشروط العامة للتكليف كالعلم والقدرة والعقل، ولا منافاة".

وفي إطار التفريق بين التكاليف العينية والكفائية، فيمكن استكشاف هذا الفرق من خلال أدلة التكليف. " فإذا كان إنحلالياً ظاهراً من تعلقه بكل مكلف على نحو إلا بشرط بالنسبة إلى غيره من المكلفين بحيث كان مطلوباً منه بعينه وخصوصيته، فهو تكليف فردي تجري عليه أحكامه وآثاره من حيث الامتثال والعصيان والثواب والعقاب، وسقوط التكليف بالعصيان أو وجوب تداركه بالإعادة والقضاء وغير ذلك من الآثار. وملاكه متعلق الفرد لا بغيره من الأفراد ولا بالأمة. وإن كان ظاهر الدليل أن المطلوب هو وقوع العمل في الخارج لا من فاعل بعينه، بل مراد الشارع تحقق هذا العمل من أي فاعل كان، كشف ذلك عن أن هذا التكليف من التكاليف المتعلقة بالأمة لا بالأفراد، وان ملاكه لا يتعلق بآحاد وأفراد المكلفين، بل يتعلق بالأمة من حيث كونها كيانا اجتماعيا، فتجري عليه أحكام وآثار هذا السنخ من إلزام الأمة به من دون خصوصية لفرد أو جماعة منها على أخرى ". (شمس الدين، 1997: 56).

ويعد الجهاد الذي أعلنته المرجعيتان الشيعية والسنية للتصدي لخطر الإرهاب(داعش) هو جهاد كفائي، حيث استنفر العراقيون من أنحاء البلاد كافة لمكافحة شرهم وقتلهم بجميع الوسائل وفضح البدع والمنكرات والكشف عن جرائمهم ونفاقهم وهجومهم ضد الإسلام والمسلمين، وهذه الحشود المؤمنة التي التحقت لمساندة القوات المسلحة عازمة بمعنويات عالية على طرد المحتل وإثبات دين الحق وحماية الأهالي ونشر الأمن والسلام في ربوع الوطن، والتذكير بدين الله بالحكمة والموعظة الحسنة وإماطة اللثام عن مصالح المنافقين الإرهاب(داعش) من خلال الكشف عن ديانتهم الزائفة وعدائهم للمسلمين.

- مراتب الجهاد وأنواعه:

هناك عدة نصوص في القرآن يستشهد بها حول هذه القضية، وللجهاد مراتب منها ما هو واجب على كل مكلف، ومنها ما هو واجب على الكفاية اذا قام به بعض المكلفين، سقط التكليف عن الباقين، ومنها ما هو مستحب، فجهاد النفس وجهاد الشيطان واجبان على كل مكلف، وجهاد المنافقين والكفار وأرباب الظلم واجب على الكفاية. ولا يقتصر الجهاد على المدلول الديني فحسب، إنما له مدلولات وقيم اجتماعية ووطنية وإنسانية سامية، دفاعاً عن الأرض والعرض والشرف والكرامة، عند التعرض للغزو من قبل الأجنبي والاعتداء على الوطن، وقد يتوج الجهاد بالشهادة، والجود بالنفس اقصى غاية الجود، والتضحية بكل ما هو نفيس، إذ يفخر ذوو الشهداء بأبنائهم ورجالهم الشهداء عند الدفاع المقدس عن الوطن وكرامة الإنسان، ولعل شعوب الأرض كافة قد تعرضت على مر التاريخ للغزو والاعتداء، أو لأعمال السلب والنهب فاستنفرت للمواجهة والقتال دفاعاً عن كيانها وممتلكاتها. (الديواني، 2012: 34-35). وتنقسم مراتب الجهاد وأنواعهِ إلى ما يأتي:

المرتبة الأولى: جهاد النفس، وهو أربع أنواع:

1. أن تجاهد نفسك على تعلم الهدى.
2. العمل بالهدى بعد التعلم.
3. الدعوة إلى الهدى.
4. الصبر على مشاق ومتاعب الدعوة.

المرتبة الثانية: جهاد الشيطان، وهو نوعان:

1. جهاده على ما يلقي من الشبهات.
2. جهاده على دفع ما يلقي من الشبهات

فالأول باليقين والثاني بالصبر.

المرتبة الثالثة: جهاد الكفار والمنافقين، وهو ثلاثة أنواع على الترتيب:

1. الجهاد باللسان
2. الجهاد بالمال والنفس
3. الجهاد بالقلب "وهو أضعف الإيمان"

قال تعالى: "انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ".(التوبة: 41).

المرتبة الرابعة: جهاد أهل البدع والمنكرات، وهو ثلاثة أنواع على الترتيب:

1. باليد إذا قدر.
2. باللسان.
3. بالقلب إذا عجز اللسان. (أبو عرَّاد، 1426هـ: 27).

- أحكام الجهاد وشروطه:

الجهاد في سبيل الله هو فرض كفاية على المسلمين، إلا جهاد النفس فهو فرض عين. أما الجهاد فله أحكام وشروط ينبغي توفرها في المجاهد ألا وهي:

1- الإسلام: لقولة تعالى " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ " ؛ فهنا الله سبحانه وتعالى يخاطب المؤمنين فقط، فلا يجب على الكافر أو الذمي الذي يدفع الجزية لذنب عنه.

2- البلوغ: فلا يجب جهاد على صبي لعدم تكليفه في هذه الحالة أي في حالة فرض الكفاية: لقوله تعالى " لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاء وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ "! وقيل هنا المقصود بالضعفاء هم ضعاف الصبيان لضعف أبدانهم.

3- العقل: فلا يجب جهاد على مجنون لعدم تكليفه في هذه الحالة أي في حالة فرض الكفاية: لقوله تعالى " لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاء وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ "، وقيل هنا المقصود بالضعفاء هم المجانين لضعف عقولهم.

4- الحرية: فلا يجب جهاد على خادم أو رقيق: لقوله تعالى " تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ "، ولكن العبد لا يملك نفسه ولا يملك مال فكله ملك سيدهِ وإن كان ولله الحمد لم يعد هذا موجوداً حتى الآن.

5- الذكورة: فلا جهاد على امرأة لضعفها، " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ "، وحكم الخنثى هنا كالمرأة تماماً لا يجب عليها القتال.

6- الصحة: فلا جهاد على مريض يتعذر قتاله أو يكون في الجهاد مشقةً عليهِ.

7- الطاقة على القتال: بالبدن وبالمال، فلا جهاد على كفيف ولا على ذي عرج حتى ولو في قدم واحدة: لقوله تعالى " لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ". (جمال، 1981: 44-46)، (الكيلاني1416هـ: 70-71).

- فضل الجهاد وكرامة المجاهدين في سبيله:

إن الجهاد هو أحد أسباب دخول الجنة، فهو سبب للمغفرة والرحمة، يقول الله تعالى في كتابه العزيز: "فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا

وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾، كما أن الجهاد سبب للنجاة من النار.

إضافة إلى ذلك فإن للمجاهدين كرامة لا يحظى به سواهم، فالمجاهدون في سبيل الله أحياء عند ربهم يرزقون، قال تعالى: "وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ". كما أن رائحة دمائهم يوم القيامة تكون كرائحة المسك. (البكري، 2014: 4-5).

الفصل الثالث

التربية الجهادية ودورها في تحقيق الانتصار على الإرهاب

إن التربية الجهادية واحدة من الأساليب التربوية الجهادية الخاصة التي وَردتْ في القرآن الكريم لدفع المسلمين إلى الجهاد، وهي إثارة غريزة فطرية عند الإنسان وهي حسّ الدفاع عن النفس والعرض والمال والدين، وتحريك حسّ الثأر للمظلومين وطلب القصاص والثأر للدماء البريئة. هذا الإحساس له جذوره الفطرية في طبيعة الإنسان، إذ أن كل إنسان، بل كلّ حيوان ذاتاً، ومن منظار أصل الخلقة، يقف في مواجهة المُعتدين عليه لينتقم منهم، ويدافع عن حقوقه. وفي هذه الجهة وردت بعض آيات الجهاد لجعل هذا الإحساس أكثر قوة وفاعلية وأكثر تحريكاً ودفعاً إلى إحقاق الحقّ والانتقام من الظّالم والمعتدي، وفي هذا المضمار يخاطب الله تعالى المسلمين: (وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ) (البقرة، الآية 190). (الحمد، 1423: 13). لقد أشار الله تعالى في هذه الآية إلى حقيقة ثابتة في علم النفس وهي الدفاع عن النفس، والتذكير والتأكيد الإلهي على هذه الحقيقة كان من أجل تحريك حسّ الثأر من الأعداء الذين كانوا يهاجمون المسلمين ويقتلونهم ويعتدون عليهم، وحتى لا يتردَّد المسلمون مستقبلاً في حرب عدوّهم والانتقام ممن يقاتلهم ويقتلهم.

لقد كان من الممكن أن يُستفاد من تعابير مختلفة في الآية لأجل بيان حكم القتال، كأن يقال مثلاً: (قاتلوا في سبيل الله المشركين) أو (الذين أشركوا) أو (الكفار) ولكن لا يمكن لأيٍّ من هذه التعابير أن يفي ببيان تلك الحقيقة النفسية. واصطلاحاً يمكن القول إن التعبير في هذه الآية بـ (الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ...) مشعر بالعلية يعني: بما أنهم يقاتلونكم عليكم أنتم أيضاً أن تقاتلوهم، وهذا تعبير وبيان عن حسّ الثأر الذي سيدفع المسلمين للتحرّك والدفاع عن أنفسهم، والتجهيز لمحاربة الذين يحاربونهم انطلاقاً من هذه الحقيقة النفسية وهذا الحس الفطري بالدفاع عن النفس والثأر من الظالم.

والتربية الجهادية هي عملية توجيه المساعي وبذل الطاقات لغرض صيانة وتنمية الجوهر الإنساني أي الفطرة نحو النضج والتكامل وتقويم حياة الفرد والمجتمع، باتباع الشريعة الإسلامية والتكيف مع التطور العلمي ومستجدات الحياة الموضوعية. وذلك عبر التضحية بالنفس والمال للدفاع عن الإسلام والمستضعفين ولمحاربة أعداء الله والإنسان. (جرداق، 2012: 55).

ومن هذا التعريف نستخلص بأن التربية الجهادية هي جامعة المعنى لمزاولة الحياة، فهي حياة الإنسان وكرامته وشرفهِ، وهي في الوقت ذاتهِ تدل على أعداد الإنسان والمجتمع لاستيعاب المستجدات والتطورات ولمواجهة كل الأعداء في داخل النفس من الهوى والشيطان، إلى ساحات المقاومة والمواجهة والقتال ضد العدوان الخارجي والانحراف الداخلي.

والتربية الجهادية لا تعني بحال إسقاط جوانب التربية الأخرى من الحساب، ولا تعني التفرغ للتربية العسكرية وشؤون القتال، كما لا تعني إهمال التربية الروحية والفكرية وإغفال التربية السياسية والحركية، إنما تعني تأصيل الروح الجهادية لدى الفرد والجماعة، وجعل هذه الروح وشيجة الربط بين سائر الاهتمامات. والعنوان الرئيسي لها تعني إيجاد الإنسان الذي يعيش من أجل الإسلام، الإنسان الذي يدرك عظمة دوره وخطورته ودقته، فهو لا يتوانى يهيئ نفسه ويستعد للقيام بهذا الدور على

أكمل وجه. فالإنسان المعلق قلبه بالله وبالآخرة، لا يعيش لدنياه مقدماً فضول الوقت والجهد لآخرته ودعوته. الإنسان المتلهف إلى الشهادة في سبيل الله، والذي يعيش حقيقة الشعار الذي يردده: (الموت في سبيل الله أسمى أمانينا). (فتحي، 2009: 29)

إن التربية الجهادية هي التربية التي تجعل الإنسان كائناً ما كان اختصاصه وعمله مجاهداً في سبيل الله، مسخراً اختصاصه للجهاد في سبيل الله. فهو عالم ومجاهد، وهو طبيب ومجاهد، وهو كاتب ومجاهد، وهو مهندس ومجاهد، وهو معلم ومجاهد، وهكذا يكون الجهاد السمة المميزة والقاسم المشترك بين هؤلاء جميعاً. إن التربية الجهادية توجب إعطاء مساحة أكبر من الاهتمام بأمرين أساسيين:

أولاً: الاهتمام بالنفس بربطها بالله والشوق إلى لقائه والموت في سبيله، وبالتالي صونها عن كل ما يركن بها إلى الأرض وشهواتها، ولو كان حلالاً طيباً، وبذلك تكون نفساً مجاهدة.

ثانياً: الاهتمام بالجسد ليكون معافى قويّاً يمتلك كل إمكانات الدفاع والهجوم وخبرات الدفاع والهجوم، وبخاصة في عصر تعددت فيه هذه الخبرات والعلوم، ورسول الله صلى الله عليه وآلهِ وسلم . يقول: (من تعلم لغة قوم أمن مكرهم). (فتحي، 2009: 38-41).

كما تعد التربية الجهادية نمط حياة، وأسلوب معيشة، وطريقة تعامل، واستعداد كبير للأخذ بالعزائم والتعالى عن الرخص، وارتياد المعالى، وإلزام النفس بما تنفر منه لمشقته، وترويضها على البعد عما ترغب فيه لسهولته، وتعويدها على العطاء لا الأخذ، وعلى التغافر لا التشاكي، وعلى التسامى لا التساقط. فالطعام القليل، والمرقد الخشن، والتدريب العنيف، والقيام الطويل، والنوم القليل، والتدبر العميق، والذكر الكثير، و دوام المحاسبة على التقصير، وتلقى التعزير بالقبول، وسرعة الإستجابة للتكليف، والاستعداد للتنازل عن كل شيء، والتدقيق في النية قبل كل عمل، وتمني بلوغ منازل الشهداء، واستحضار حال المرابطين. كل هذا من لوازم التربية الضرورية للمجاهدين، وعلى قدر الإجتهاد يكون التوفيق، " والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا، وإن الله لمع المحسنين " (الحليسي، 2014: 1-2).

وللتربية الجهادية أهداف سامية تتمثل في الدفاع عن العقيدة الإسلامية وإعداد الإنسان جسمياً وعسكرياً. لإن الله سبحانه وتعالى لا يفرض على المسلمين أحكاماً عبثياً، ولذلك فإن الجهاد في سبيل الله له أهداف وغايات سامية أهمها:

1. هداية الناس إلى الحق لعبادة الله وحده وعدم الإشراك به. قال تعالى: "وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ".(الأنفال: 39)
2. نصرة المظلومين ورفع الظلم عنهم: قال تعالى: "وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا".(النساء: 75)
3. الدفاع عن الوطن والأرض والأعراض والأموال والأنفس: قال تعالى: "الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ.(البقرة: 194).(النحلاوي، 2005: 13).

فإذا تحققت أهداف التربية الجهادية تحقق الانتصار على الإرهاب. وبذلك جاءت التربية الجهادية رداً على مشكلة الإرهاب التي أصبحت تؤرق الكثيرين.

وما نعيشهُ اليوم من انتصارات وتضحيات لجيشنا الباسل وقوات الحشد الشعبي الأبطال الغيارى ووقفات التضامن دليل واضح وكبير على التربية الجهادية الصحيحة لدى العراقيين الأبطال لدحر الإرهاب الجبان.... ومن الله التوفيق.

المصادر:

- القرآن الكريم.
- إبن الأثير(ب:ت) باب الجيم مع الهاء، والمصباح المنير، مادة.
- أبن حجر، (ب:ت) فتح الباري، جزء 2.
- ابن منظور، جمال الدين(1993) معجم لسان العرب، دار الصادر، بيروت، لبنان.
- أبو عرّاد، صالح بن علي (1426هـ) التربية الإسلامية المصطلح و المفهوم، دار الفكر، بيروت.
- أيوب، محمد(2011) الجهاد في الاسلام، دار العرفان.
- البكري، هديل (2014) معنى الجهاد. www.bakry.com
- جرداق، جورج (2012) موسوعة التربية الجهادية واهدافها عند الامام علي(ع) المجلد الاول، الدار العربية للموسوعات، بيروت.
- جمال، أحمد محمد(1981) الجهاد في الإسلام مراتبه ومطالبه.
- الحجيني، علي، (2007)، الفهم المفروض للارهاب المرفوض. www. Hojany.com.
- الحليسي، محمد (2014) التربية الجهادية، www.halese.com.
- الحمد، أحمد (1423هـ)التربية الإسلامية، دار اشبيليا، الرياض، السعودية.
- الحميد، سليمان (2001) الآيات القرآنية في الجهاد، مطبعة رابطة الكتب الاسلامية.
- الديواني، طه علي(2012) التربية الثورية، مكتبة المعرفة.
- رمضان، عصام صادق (2000)، الابعاد القانونية للارهاب الدولي، بحث منشور، مجلة السياسة الدولية.
- الزيدي، علي (2013) ثورة الامام الحسين(عليه السلام) غيرت مفهوم الانتصار. www.jam3aama.com.
- سعيد، محمد سعيد (2008) الجهاد والسلام في ذروة الإسلام، دار الفرقان.
- شمس الدين، محمد مهدي (1997) جهاد الأمة، دار العلم للملايين، بيروت.
- عزام، عبد الله (2014)، التربية الجهادية، مكتبة الكتب العربية، عمان، الاردن.
- العلوي، عادل (1420هـ) تربية الاسرة على ضوء القرآن والعترة، عالم الكتب، بيروت.
- فتحي، سليمان (2009) أبجديات التصور الحركي للعمل الإسلامي، المجمع العلمي للتربية والثقافة المعاصرة، بيروت.
- فضل الله، محمد حسين (1998) الجهاد – دراسة إستدلالية فقهية حول موضوعات الجهاد ومسائله، ط2، دار الملاك، بيروت.
- القحطاني، عبد العزيز (2011) الجهاد في سبيل الله فضله ومراتبه وأسباب النصر على الأعداء، المجمع العلمي للتربية والثقافة المعاصرة، بيروت.
- الكيلاني، ماجد عرسان (1416هـ) مناهج التربية الإسلامية والمربون العاملون فيها، عالم الكتب، بيروت.
- الميرزائي، علي نجف (2002) مطارحات في منهجية الإصلاح والتغيير – رؤية إسلامية، المجمع العلمي للتربية والثقافة المعاصرة، بيروت.
- النحلاوي، عبدالرحمن (2005) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، دار الفكر، سوريا.
- الندوي، محمد شهاب الدين (ب:ت) أهمية الجهاد لنهضة العالم الإسلامي حقيقة الجهاد وأقسامه وحاجته اليوم، الأكاديمية الفرقانية – بنجلور – الهند.
- الهواري، محمد (2007) التعريف بالإرهاب وأشكاله، دار المالك، الأردن.